عدد 16 ديسمبر(2001)، ص. 103-108

# مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية

**ملخص**

لقد لعبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دورا مهما في الحفاظ على الهوية الوطنية للشعب الجزائري، وعملت كل ما في وسعها على صيانة عناصر تكوينها من دين ولغة وعادات وتقاليد، وأبلت في ذلك البلاء الجميل. إذ تصدت للهجمة الإستعمارية الشرسة، وكانت لكل مشاريعها الهدامة بالمرصاد، ووقفت سندا منيعا في وجه المشروع الإستعماري الذي كانت تطمع قوى الإستعمار إلى تحقيقه على أرض الجزائر العربية المسلمة.

وجندت الجمعية وسائل عديدة منها: المعلم والمدرسة والصحيفة، والخطيب، والمحاضر والواعظ، والشاعر، وكل من كانت تتوسم فيهم الإخلاص للدين والوطن حفاظا على كيانه من التلاشي والذوبان أمام ضربات القوى الإستعمارية المصممة على ضربه في العمق ولكن هيهات !!

**د/ كمال عجالي**
معهد الآداب
جامعة باتنة
الجزائـــر

**عرفت** الجزائر ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931م كحدث تاريخي هام في تاريخ الجزائر الحديث ردا على إحتفالات فرنسا بمناسبة مرور قرن على احتلال الجزائر (1).

وقد كان لهذه الجمعية الدور الفعال في القضية الوطنية، حيث أيقظت الشعب من سباته وغفوته ودعته إلى المطالبة بالحقوق المهضومة والقيام بالعربية لغة الدين والوطن ودعت إلى العمل بالقرآن والسنة الشريفة، وعملت على إحياء الشخصية الوطنية العربية المسلمة، كما عملت على تخليص قطاعات كبيرة من الشعب من ضلالات البدع والخرافات التي كان يدعو إليها الطرقيين ورجال الزوايا المنحرفة، إلى درجة أن الإبراهيمي يعد تلك الضلالات والخرافات إستعمارا ثانيا على جانب الإستعمار الفرنسي (2).

**Résumé**

La valeur scientifique de ce travail pourrait paraître plutôt faible, compte tenu de l'importance des études déjà réalisées sur l'Association des Ulémas Musulmans Algériens.

Ce modeste travail tente de replacer cette association dans une perspective historique tout au long du mouvement national algérien, et de faire ressortir les grandes orientations tracées par les ulémas, à savoir : la religion islamique, la langue arabe, la tendance arabo-islamique, l'intégrité de la patrie algérienne, la rupture décisive avec le colonialisme.

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر2001.

Les Ulémas, à travers la religion et la langue, ont façonné le peuple Algérien en une unité nationale, contre une colonisation française qui, depuis 1830, l'avait plongé dans l'ignorance la plus complète.

L'Association des ulémas fut fondée en 1931, un an après le centenaire colonial, pour mettre à nu la colonisation française, du point de vue économique, social et culturel, et principalement pour faire face à l'assimilation et à la naturalisation des musulmans Algériens.

ولأهمية الدور الذي قامت به الجمعية، يقول شارل أندري جوليان (كان العلماء هم الذين أيقظوا الرأي العام الأهلي من سباته) (3).

أنشأت الجمعية الصحف والنوادي والمدارس والمعاهد، وأرسلت الطلاب والتلاميذ إلى الخارج، وشاركت الجمعية في إرسال البرقيات والإحتجاج لدى الحكام الفرنسيين وطالبت بالحقوق المغصوبة من هذا الشعب، وأبلت في ذلك البلاء الحسن في أسلوب تظاهرت فيه مبتعدة عن السياسة كما كانت تفعل الأحزاب والجمعيات السياسية (وكانت هذه طريقة ذكية تمكنت الجمعية بها من الحصول على رخصة العمل من السلطات الفرنسية، كما تمكنت من التحرك في إطار قانوني، ومن ثم تجنبت المصير الذي لقيته بعض الأحزاب السياسية التي جهرت بالعداء للإستعمار، فأسرع إلى حلها وتشتيت شملها) (4).

جاهدت الجمعية الجهاد الكبير (5) بما كانت تنشره من مبادئ الدين الإسلامي والقيم والحضارة العربية الإسلامية والوطنية الحقة التي تعيد إلى الإنسان الجزائري توازنه، وتعرفه بثوابته ومقوماته، وذلك حين رأت فشل الدعوات الجوفاء، والأفكار البراقة والشعارات الفارغة الخلابة التي لا تتجاوب مع مطامح الشعب وآماله. (وعلى أية حال فإن هؤلاء العلماء جميعا كانوا يمثلون المدرسة الحقيقية للوطنية الجزائرية تتغذى منها جميع القوى الوطنية الأخرى في البلاد، وذلك أن هؤلاء العلماء كانوا خلال إقامتهم في المشرق العربي رصيدا ثقافيا عاليا تشبعوا بروح الإصلاح الناضج، وبالأفكار المعادية للإستعمار وبمبادئ الحركة الداعية إلى الرجوع إلى منابع الإسلام الصافية التي سار عليها السلف الصالح فعادوا إلى الوطن ونفوسهم تتقد حماسا إلى التغيير والثورة على الجمود الفكري وظلم الإستعمار الذي بذل قصارى جهده لطمس الشخصية الوطنية ووأد الثقافة العربية وعزل الإسلام في دوائر ضيقة بعيدا عن روح العصر وتقدم الحياة البشرية) (6).

وللحقيقة، فإن الجمعية لم تقصر عملها على ما سطرته في قانونها الأساسي فقط، بل خاضت في المسائل السياسية كذلك (7)، لأن الظروف المحيطة بها وبالوطن الجزائري آنذاك قد فرضت ذلك، وشعورا منها بالمسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقها كجمعية رائدة تخوض صراعا حضاريا مع استعمار غاشم كان يهدف على تقويض الجزائر وطنا ومجتمعا، يقول الأستاذ محمد زرمان عن هذه الحركة الحرجة: (تتميز هذه الحركة بتطور الحركة الوطنية واشتداد الصراع بينها وبين الإستعمار الفرنسي الذي كان يهدف إلى مسخ الشخصية الجزائرية وطمس معالمها. لأنها وقفت حجر عثرة في طريقه طوال سنوات الإحتلال) (8).

دخلت الجمعية معترك السياسة بشكل صريح منذ مشاركتها في المؤتمر الإسلامي سنة 1936م، الذي تجمعت فيه معظم القوى الوطنية والسياسية ما عدا حزب نجم شمال

إفريقيا الأمر الذي جعل خصومها من رجال الطرق ينتقدونها الإنتقاد اللاذع، يقول الدكتور محمود قاسم: (وقد عاب بعضهم على جمعية العلماء أنها وقعت هي الأخرى في شراك السياسة، وإن كنا نعتقد أنها دخلته منذ زمن غير قصير. وأيا كان الأمر فإن تدخلها في عام 1936م كان ضروريا، فقد أصبحت دعوتها مهددة بأكبر الأخطار) (10). ويقول أحمد مريوش مبررا مشاركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المؤتمر الإسلامي: (والظاهر أن وجود العلماء في المؤتمر قد استدعته الظروف الظرفية بل لعله كان لزاما عليهم أن يساهموا بالقدر الكافي في تحقيق التوزان داخل المؤتمر، لأنهم يمثلون السواد الأعظم من الأمة، ولذلك لا بد عليهم أن يتقدموا هم كذلك بمطالبهم التي تركزت أساسا على الحفاظ على الذاتية والهوية الجزائرية) (11).

والدارس لأفكار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتطورها يخلص إلى أن (العلماء قد وقفوا في صالح كيان جزائري ينفصل في النهاية عن فرنسا، ودعوا على القومية العربية الإسلامية، وعارضوا بشدة تجنيس ودمج الجزائر في فرنسا وكان شعارهم: (الجزائر بلادنا والإسلام ديننا والعربية لغتنا) (12).

لقد أدركت الجمعية الخطر المحدق بالجزائر في ذلك الظرف العصيب، فرمت بكل ثقلها ودخلت المؤتمر الإسلامي عام 1936 حتى تكون على بينة مما يجري، وعن قرب مما يحدث. يقول: الشيخ محمد خير الدين رحمه الله عن سبب مشاركة الجمعية في ذلك المؤتمر (وفي سنة 1936 هدد الجزائر خطر شديد في قوميتها ببرنامج "فيوليت" القاضي بالإدماج التدريجي للشعب الجزائري المغري لبعض النخبة المثقفة بالفرنسية فاضطر العلماء للمشاركة في المؤتمر الإسلامي الجزائري بفرض مبادئهم على المؤتمرين وهي المحافظة التامة على الشخصية الجزائرية ورفض كل مساس بها) (13).

وقد تمكنت أفكار جمعية العلماء من التغلغل في النفوس لملاءمتها للعقيدة والتكوين النفسي والحضاري للشعب الجزائري في سنوات قليلة جدا بالقياس على غيرها من الجمعيات والأحزاب. يقول شارل روبير أجرون: (وما من شك فإن العلماء في مناخ المعارضة القوي من أعوام 1933 حتى حزيران 1936، قد وطدوا نفوذهم ووجهوا الرأي العام الإسلامي لصالحهم) (14)، وكأني بالعلماء واثقين تمام الثقة من عدم صدق فرنسا في مشاريعها واصلاحاتها المزعومة للشعب الجزائري، فجاروا بذكاء الأحداث ولم يقفوا على الهامش أمام مجريات الأمور، ولم يعاكسوا الأحزاب حتى لا يتركوا لمتخرص ثغرة يلج منها إلى انتقادهم، فشاركوا في المؤتمر (ولم يتخذ العلماء موقفا معاديا واضحا مراعاة للظروف منتظرين أيام خيبة الأمل ليكشفوا عن مشاعرهم الحقيقية) (15) إزاء ما كان يدبره الإستعمار من مخططات تدميرية لكل البنى في الوطن الجزائري من (16) دين ولغة وحضارة وتاريخ وعادات وتقاليد وثقافة وغيرها من مكونات الشخصية الجزائرية (17) حيث (لم تكتف فرنسا بما تركته من خراب ودمار من الناحيتين الإقتصادية والسياسية، بل سعت إلى تفتيت البنية الإجتماعية للشعب الجزائري التي كانت تتميز بالتلاحم وشدة الترابط بعد أن جمعها الإسلام في

حلقات قوية التماسك، وكان الهدف من تفكيك وحدة الشعب، والتفريق بين العرب والبربر هو إضعاف روح المقاومة لدى افراده وقتل كل المحاولات للثورة ضده) (18).

وانتشرت افكار جمعية العلماء بشكل سريع ولافت للنظر، وذلك لما بذلته من جهود من أجل المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية، والتمسك بالهوية التي حاربها الإستعمار باساليبه المختلفة بدعوى التحضر والمدنية التي جاء ينشرها في ربوع شمال افريقيا (19). (وقد انصبت دعوة رجال الفكر الإسلامي على النهوض بحيث مست المجتمع من جوانب كثيرة واعتمدت اساسا على الرجوع إلى منابع الدين الإسلامي واقتناء أثر السنة الشريفة والعمل على نشر الثقافة العربية، والقضاء على الجهل والخرافات والبدع التي انتشرت بين رجال معظم (الطرق) الصوفية وساعد على انتشارها الإستعمار، وقد ألحوا على ضرورة توحيد الفكر والإتجاه بين المواطنين، والعمل على نشر المدارس والصحف والنوادي والجمعيات الأدبية، وما على ذلك مما يمكن أن يكون طريقا للرقي المادي والنهضة الفكرية) (20).

**الخـاتمـة**

نخلص من هذا المقال إلى أن مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت جادة وفعالة في الحفاظ على كيان الأمة والدفاع عن مقوماتها، فقد وظفت ما اسعفها من إمكانيات في ظرف حضاري صعب، تكالبت فيه قوى الإستعمار على الدول المستعمرة، ونشط فيه أصحاب المشاريع التغريبية الرامية إلى احتواء أوطان وشعوب بإكمالها ولكن الله قيض لهذا الوطن رجالا بذلوا الغالي والنفيس فكانوا بحق سدا منيعا حفظ للجزائر كيانها. وسلمت لها بفضلهم شخصيتها وهويتها.

**الهوامش**

1. انظر، د/ تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981، ص: 66 وما بعدها. وكذلك:
C. Collot et J.R. Henry, « Le mouvement national Algérien », texte 1912-1954, 2ème édition, O.P.U., Alger.
2. انظر، الموافقات، العدد الرابع، السنة الرابعة محرم 1416 هـ جوان 1995، الشيخ البشير الإبراهيمي، خلاصة تاريخ حياتي، ص: 391.
3. شارل أندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1396 هـ - 1976م، ص: 133، وانظر كذلك د/ أحمد خطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985، ص: 173 وما بعدها.
وكذلك صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر سنة 1830 – 1962 دراسة تحليلية ج، دحلب – الجزائر، ط2، 1992، ص: 22 – 23 وكذلك، يوسف مناصرية، الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919 – 1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988م ص: 27.

4. محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الفكر الإسلامي الحديث، إشراف د/ العربي دحو، معهد الدعوة وأصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية 1995/94.
5. انظر، عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1401م، ص: 275 وما بعدها.
6. بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931 – 1945) دراسة تاريخية مقارنة. بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ المعاصر، تحت إشراف الدكتور توفيق برو، جامعة قسنطينة، معهد العلوم الإجتماعية، دائرة الدراسات التاريخية، عام 1983، ص: 51.
7. انظر، عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995، ص: 60.
8. محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، ص: 3.
9. انظر، أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د/ أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، بوزريعة، السنة الجامعية 91 – 1992. ص: 180 وما بعدها.
كذلك: محمد العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1 1985، ص133 وما بعدها.
10. د/ محمود قاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف، مصر. سنة 1986، ص: 29. وانظر محمد العيد تاورتة، نثر الشيخ البشير الإبراهيمي في الفترة من 1929 إلى 1939، جمع وتوثيق ودراسة بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث، بحث تحت إشراف د/ محمد شكري عياد، معهد الآداب والثقافة العربية، جامعة قسنطينة، العام الدراسي 1933 1400هـ - 1974م، ص: 566.
11. أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص: 196.
12. وزارة الإعلام والثقافة، كيف تحررت الجزائر، الذكرى الخامسة والعشرين لثورة نوفمبر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979 ص: 54.
13. محمد الطاهر فضلاء، أعلام الجزائر، الإمام الرائد الشيخ البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى، نشر وطبع وتوزيع مكتبة ومطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1387هـ -1967م، ص: 27.
14. شارل روبير آجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2 1982، ص: 142.
15. شارل أندريه جوليان، افريقيا الشمالية تسير، ص: 148.
16. انظر، جلال العالم، قادة الغرب يقولون (دمروا الإسلام أبيدوا أهله)، دار إبن تيمية، البليدة، (د.ت)، ص: 30 – 50.
17. انظر، د/ عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411 هـ - 1991م، ص: 21.
18. محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، ص: 21.
19. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، المطبعة التعاونية، دمشق، ط1، سنة 1385هـ - 1965م، ص: 21 وما بعدها.
20. د/ عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، سنة 1401هـ - 1981م، ص: 565. □